

عنوان الدرس : القيادة الروحية فى المجتمع المسيحى

كود الدرس : les_ak_6

الكاتب : د. غسان خلف

موضوعنا اليوم هو القيادة الروحية فى المجتمع المسيحى ، والذى يقدر القيادة ويحترمها ويعرف تماما معناها ، ولأننا نعتقد معظمنا فى القيادة ، هذا يعنى أننا نتعلم كيف نكون فى خدمة من نقودهم ، وهذا معنى القيادة الأساسى قال الرب يسوع أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل يخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين . وبهذا القول سجل يسوع أعظم مبدأ وأسمى مبدأ للقيادة الروحية .

لكي أدخل إلى موضوعي أريد أن أقول ، أن الكتاب المقدس بالنسبة إلينا كلمة الله يقدم لنا مفهوم القيادة ، ومنه نأخذ هذا المفهوم وهذا المبدأ .

والكتاب المقدس يقدم لنا القيادة فى شكل من اثنين ، فالكتاب المقدس يقدم لنا مبدأ القيادة ويقدم لنا ممارسة القيادة معا ، وهذه هى المسألة فى الكتاب المقدس ، فلم يقدم لنا مبادئ بمعاني نظرية لكنها ضرورية ومعاشة ، ممارسة قيد التطبيق ، عاشها الناس عاشتها المجتمعات فيقدم لنا مفهوم قيادة مختلفة تماما .

ليس مبدأ نظري ، وهناك نماذج داخل الكتاب المقدس ، هل تعرف لماذا يسرى هذا الكتاب إلى قلبك ، ويدخل إلى أعماقك أكثر من أى كتاب آخر ، هل تعرف لماذا أقول لك ، لأنه يتكلم عن علاقة الناس بالله ، وعلاقة الناس بعضهم ببعض أنه حكاية البشر الحكاية عن البشر ، أنه سطر من أجلك بالروح ، أبراهيم ، اسحق ، يعقوب ، صموئيل و الأنبياء ، الناس العاديين ، يسوع الرسل ، التلاميذ .

ليس كتاب أوامر أفعل هذا ولا تفعل ، كالوصايا العشر فى شكلها الكامل أنه ليس كتاب الوصايا العشر المنقوشة على الحجر ، هو كتاب الوصايا التى لاتعد المحفورة فى قلوبنا اللحمية ، التى معدة لليوم للواقع ، للحياة المعاشة .

فأنت عندما تقرأ فى كتابك فأنت تقرأ عن أشخاص يشبهونك فى نجاحاتهم وفى فشلهم وفى قوتهم الروحية ، وفى ضعفهم وفى كمالهم ومحدوديتهم وأنت ستقرأ الآن ، تدرك أنهم يشبهونك فى كل شئ ، تتعجب وتقول أن لى رجاء وأن الله يستطيع أن يدربنى حتى يوصلنى ويؤهلنى ، ما أحلاك يا كتابي المقدس ما أحلاكى يا كلمة الله .

إذا فالكتاب المقدس يقدم لنا مفهوم القيادة نظريا وتطبيقيا يقدم لنا مبدأ القيادة ويقدم لنا قيادة معاشة ، وقيادة مطبقة بشكل بسيط كى أوضح موضوعى خلق الله الإنسان ، وقال له أشرف على هذا الكون الذى صنعتك فيه أى وضع الله آدم فى جنة عدن ليعملها وليحفظها ، الله يقول له اعتنى بهذه الوكالة ، أعتنى بهذه الأرض التى وضعتك عليها وكيلا بالنيابة عني ، أنت سيد عليها أنت سيد الخليقة أضحك هنا .

وكل التاريخ هو قصة كيف يسود الإنسان على هذه البؤرة التى نحن عليها ، ويبدو أنه بعد كل هذه السنين التى كان الإنسان وكيل فيها ، لابد أن نعرف هل كان جيد من جهة هذه الوكالة ، هل عمل حسنا فى وكالته ، ما الذى يقوله التاريخ هل عاش هذا الإنسان وكيلا صالحا .

عندما يتكلم التاريخ هل نجد مساحات السلام فيه أوسع أم مساحات الحرب ، ترى ماذا يكون الجواب .

وفي الكتاب هناك صور للقيادة وعندما أقول صور القيادة بمعنى أنه ، عندما تتربسح لدينا هذه الصور ، يصبح لدينا نماذج للقيادة من مفهوم كتابي ، والروح القدس يربسح هذا المفهوم في حياتنا حسب وجهة نظر الكتاب ، والقلوب المطيعة لله تأخذ هذا التعليم وتعيشه تلقائياً ، فهذه هي مهمة الروح القدس فينا فهو يجعلنا ننفاد تلقائياً لتعليم الكتاب المقدس ، من هم أبناء الله هم الذين ينفادون بروح الله ، ينفادون قيادة يقودهم الروح القدس .

نحن لدينا الصورة الأسمى الإله الواحد الثالث الأقدس ، سنتحدث عن علاقة الأقانيم الثلاثة بعضهم ببعض ، هناك أجمل مثال للقيادة وإذا رغبتنا أن نكون مثل الله ونطبع الله ، يجب أن نعرف عن الله من هو ، خاصة في طبيعته اللاهوتية طبيعته الثالوثية ، علاقة الأب والابن والروح القدس بعضهم ببعض .

أحبائي الأقانيم الثلاثة هم في أنسجام كامل ، الله الأب هو المصدر ، الابن يولد من الأب ، والروح القدس ينبثق من الأب ، والابن والروح القدس مع الأب أزليون ، عندما أقول الابن مولوداً من الأب ، لايعني أنه كان هناك وقت لم يكن الابن موجوداً ، ثم جاء للوجود من خلال الأب ، لا يوجد شئ بهذا المعني ، المعني أن الابن كامن في الأب ويولد منه ، والروح القدس كامن في الأب وينبثق منه ، كما يخرج النور أو الشعاع من الشمس .

إذا هناك كينونة للأب وظهور لهذه الكينونة ، والابن أزلي والروح القدس أزلي ، لأن كلاهما صادر من الأب الأزلي ، يكمنان في الأب والابن يولد والروح القدس ينبثق ، والآن ما علاقة الأقانيم بعضها بعض .

نحن نسمى الله الأب ، ونسمى يسوع المسيح الكلمة الأزلي المولود من الأب نسميه الكلمة ، وهذه التعاليم أخذناها نحن أبناء الأرض من ملاحظتنا للأب والأبناء وكيف يولدون ، وكيف يعتنى الأب بالولد ، وكيف يحترم الولد الأب ، وعمق هذه العلاقة والحميمية ، ونحن أخذنا هذا النموذج ونحاول تطبيقه على الله ، وكل هذه محاولات منا لوصف هذه العلاقة .

كما أننا نحكى عن جهنم ونصفها بكلمات دينيوية ، مثل نار لاتطفأ وصرير الأسنان وهي خارج هذا الأطار ، لكنها هي أفضع من ذلك بكثير ، وبالمثل نستخدم كلمات أرضية لوصف السماء التي مانظرتها عين ، وأنا أعتقد أن السماء أجمل بكثير .

وهكذا عندما نصف أمور الله ، فعندما نتكلم عن أن الأب يلد الابن ، والروح القدس ينبثق ، أنا استخدم أفضل أداة لدى من قاموسى الأرضي ، لوصف أمور أسمى وأعمق جداً ، لكن هذه التعابير الأرضية التي استعملها تقرب المفاهيم إلى ذهني فأستطيع فهمها .

ومن هنا أقول أن الله له لقب هو الأب ، ويسوع المسيح الكلمة الأزلي له لقب وهو الابن ، وعندما يكون هناك أب وابن فالابن يخضع للأب ، هل قرأ أحدكم في الكتاب المقدس عبارة أن الابن يرسل الأب ، ولكن يوجد عبارة أن الأب يرسل الابن ، ومن هنا أصل بفهمكم أن الابن يخضع لأبيه .

والآن أسألك هل ترغب أن تكون مثل الابن في خضوعك للأب . أمين

والآن لانستطيع أن نكون متمردين على الله والابن مقيم فينا ، وأن كان الابن يقيم فينا فهو يخضع لأرادة الأب ، ولهذا فنحن عندما نتمرد على الله ، فنحن نقول ليسوع الموجود فينا أخرج من حياتنا لساعة أو ساعتين ، حتى أتمرد على الأب ، لأنك موجود في داخلي لا أستطيع أن أتمرد على الله ، هل هكذا تفعل عندما تخطئ ، عندما نرغب في الخطيئة ، عندما نريد أن نمارس شيئاً يستهويناً شيئاً لا يرغب فيه ابن الله الساكن فينا .

الابن يخضع للأب ، وهكذا نحن نخضع للأب لأن الابن يقيم الآن فينا ، يقول بولس الرسول مع المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فينا ، إذا المسيح يقيم في داخلي ، وإذا كان المسيح يقيم في داخلي فإذا المسيح يفعل مشيئة أبيه .

هنا جمال القيادة ، هنا يطاع يسوع لمإذاً يطاع لأنه أطاع ، وأنت إذا كنت مسئول عن جماعة ، هناك جماعة تحت إرشادك ، فهذه الجماعة تطيعك عندما تطيع أنت الكلمة ، وعندما لاتطيع الكلمة لاتطيعك جماعتك ، فكما نطيع نحن نطاع .

الروح القدس المنبثق من الأب هو يطيع الأب ويطيع الابن ، الابن يصعد إلى يمين الله ويرسل الروح القدس فيأتي إلينا ويبارك حياتنا ويملأنا .

وأنا أحدثكم عن طاعة وخضوع الابن كالكلمة الأزلى ، أما الآن أريد أن أكلمك عن خضوع الابن الكلمة المتجسد ، هذا الذى جاء مطيعاً للأب وبذل نفسه لأجلنا ، فقد أتى وصار أنسان والكلمة صار جسداً وحل بيننا ، كيف عاش هنا على الأرض .

إذا نظرت أنا إلى علاقة يسوع بالله الأب خلال وجوده على الأرض ، نجدها علاقة أطاعة تامة وفي أحد المرات صلى يسوع ، وقال يارب أنا أعلم أنك فى كل حين تسمع لى ، لأننى فى كل حين أفعل ما يرضيك ، وهذا ما كان يفعله يسوع ، طوال حياته على الأرض ، وكان يفعل كل ما يريد الله .

ومن أكبر الأزمات التى واجهت يسوع على الأرض هى مسألة الصليب ، ليس من كونه موت ، ولكن من كونه لعنة ، فالمسألة كانت كيف يصير القدوس صورة للخطيئة ، ومحسوباً لعنة ، فالنص يقول فى العهد القديم ملعون كل من علق على خشبة ، ملعون ممن ملعون من الله ، بكلمة أخرى من يعلق على خشبة هو تحت لعنة الله ، يالهول الحكم أن يكون الأنسان تحت اللعنة من الله .

من غير المعقول أن يكون يسوع نجس ، ومن هنا كان الصراع ، والقول ليترك تجيز عني هذه الكأس ، هو لا يتحدث عن الموت بل عن اللعنة ، ولهذا نجد الرسول بولس يقول أن الله جعل من لم يعرف خطيئة خطيئة من أجلنا ، لنصير نحن برالله فيه ، أنت لاتملك الجرأة أن تقول عن يسوع أنه صار خطيئة ، لكن الوحي يقول ذلك عنه ، لأننا تحت اللعنة يسوع صار لعنة كي يرفع عنا اللعنة ، وتكون لنا بركة ابراهيم ، كم نشكر الرب على ذلك هل تذرف الدموع ، هل نقدر حجم الأزمة التى مر بها ، حتى أن العرق صار يتساقط كقطرات دم منه ، وكان مكتئب ومنقهر ، ورغم ذلك قال بعد عبارة أعبر عن هذه الكأس ، قال لتكن لامشيئتي بل مشيئتك ، لتكن لا أرايتى بل أرايتك ، أطاع يسوع الله فى كل شئ ومات على الصليب بدلاً عنا .

وعندما حمل خطايانا ، جاء بره إلينا ، فصرنا محسبوين أبراراً أمام الرب ، وجاء بره إلينا كهبة نشكر الله على هذه الحياة التى أعطانا أيها .

وكانت علاقة الله الأب بالابن المتجسد علاقة الخضوع التام ، وأطاع طاعة كاملة حتى الموت ، لأنه هكذا كانت إرادة الله أن يموت المسيح

وإذا نظرنا لعلاقة الابن المتجسد بوالديه الأرضيين مع يوسف ومع مريم ، نقرأ في أنجيل لوقا أن يسوع كان يمضى الوقت في الهيكل ، يتكلم مع المعلمين ويسألهم ، وبالنسبة لوالديه يقول وكان خاضعاً لهما ، ونرى في أفتتاحية أنجيل يوحنا يقول أن كل شيء به صار وبغيره لم يكن شيء قط ، وأن الله خلق كل شيء بواسطته ، ويوسف مريم به خلقا ، وهو سبب وجودهما ، وفي تجسده كان خاضعاً لهما .

ما أجمل عبارات الكتاب ، كان به العالم ولم يعرفه العالم ، إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله ، العالم كان به ولم يعرفه العالم ، هذا العالم جاء إلى الوجود بواسطته لم يعرفه العالم ، ورغم أنه هو السبب في وجود يوسف ومريم يقول الكتاب أنه كان خاضعاً لهما .

أعود إلى المبدأ من يتعلم الخضوع لغيره ، يعلم الناس الخضوع له ، يسوع يأمر فيطاع لأنه أمر فأطاع .

وأسألكم عن الخضوع للحكومة ، هل أطاع الحكومة أليس هو رب الحكومات ، أليس هو الذى أوجدها هل يقوم سلطان أو ينزل إلا باسمه ، لكنه قال لبطرس أذهب إلى البحيرة وأصطاد سمكة وأحضر الأستار ، وأدفعه ضريبة عني وعنك ، أندفع الجزية لقيصر ، أعطوا ما لقيصر لقيصر ، ومالله الله ، إذا أعطوا لقيصر ما لقيصر ، إذا كان خاضعاً للحكومة خاضعاً للترتيب الذى يديره الناس فى هذه الدنيا .

وهل خضع للحاكم ، كان أمام بيلاطس وكان يقول أن بإمكان أبى أن يرسل جيش من الملائكة ، لكن لم يكن لك على من سلطان ، فيبيلاطس كان له سلطان على يسوع المتجسد ، ولأن بيلاطس يملك أن يعفو عنه أو يعدمه ، فقال له لم يكن لك على من سلطان ، لو لم تكن قد اعطيت من فوق .

ونحن نطيع الحكومة والحاكم لأننا نؤمن أنه مرتب ، من قبل الله ، الله له اليد الأولى فى وجوده ، إذا ندرك هنا أن الابن من خلال وجوده على الأرض كان يخضع وبطبع .

وإذا تطرقت لعلاقة المسيح بالكنيسة ، فهناك مبدأ أريد أن أضعه قبل أن أتطرق فى تعليمي أكثر أن دور يسوع على الأرض انتهى بميلاد الكنيسة ، وأرجو أن أكمل هذا التعليم فى الحلقات القادمة .

أما الآن فما أريد أن أؤكد عليه هو أن يسوع مثالنا فى الخضوع وفى القيادة ، وإذا كنا نطيع يسوع فنحن نعرف الآن على أى أساس نطيعه ، نطيعه ليس لأنه جالساً على كرسيه العاجى ويأمرنا ، لكنه وهو المعلق على الصليب ، يطلب منا أن نطيعه ، أن سر قيادته هو حبه العميق لكل واحد منا ، لولا ذلك ما كنا نطيعه ، نحن البشر المغروس فىنا التمرد ، لانحب أحد يأمرنا هذه طبيعتنا ، فعرف الرب كيف يدجننا ، والله لا يقدر أن يدجننا إلا بالمحبة ، وقدر علينا . آمين .